الإستقرار الريفى فى كوردستان

دراسة في أسباب الإستقرار الريفي فى كوردستان

الاعداد : المهندسة المعمارية

دەريا عبدالله محمد

Darya.abdulla@yahoo.com

الإستقرار الريفى فى كوردستان

دراسة في أسباب الإستقرار الريفي فى كوردستان

قرى المناطق الجبلية كحالة دراسية

تعد القرية , أقدم مراكز الأستيطان البشرى, فعبر حقب طويلة من الزمن ظل خلالها متنقلا , طلباً للماء والأكل أو سعيا وراء الراحة والأمان ... أضطر الإنسان الى البحث عن موطن للأستقرار ومن المرجح ان هذا الإستقرار ارتبط اول الأمر بالملاجىء والكهوف التى أتخذت بالآخر شكل المساكن , سميت ب(القرية).
وفى ضوء التنقيبات تم الكشف عن أدوات تعود الى العصر الحجرى القديم فى كوردستان , وذلك فى كهوف: **شانەدەر,سەرزێ ,كەيوانان ,هەزار مێرد** , كما عُثر على آثار تعود الى العصر الذى سبق ظهور الإنسان الحديث , وفى (**چەرمۆ**) شمال شرق **چمچمال** عثر على أدوات ولقط تمثل أقدم القرى الزراعية.
ومن المعلوم أن أختيار الإنسان لموقع سكناه لم يأت إعتباطاً , وماكان لتوزيعها ليتخذ أنماطه الحالية بطريقة المصادفة وإنما كانت هناك ثمة عوامل تفاعلت فى تحديد أعدادها وأحجامها وفى توزيعها الجغرافى.

تهتم هذه الد راسة بتحليل انماط التوزيع المكاني للقرى والشكل الذي تتخذه القرى ذاتها نتيجة لتوزيع مساكن الفلاحين فيها ، ونظراً للتغيرارت الكبيرة التي شهدها كوردستان في العقود الأخيرة , فإن هذا البحث قام بدراسة أنواع المستوطنات الريفية وأسباب إستقرارهم الجغرافى والعوامل المؤثرة فى أنماط الأستيطان الريفى فى كوردستان وتحليل القرى الواقعة فى المناطق الجبلية ودراسة منطقة هةورامان من حيث موقعها الجغرافى ونط تجمع القرى والبيوت السكنية فيها , .انتهى البحث الى بعض الاستنتاجات اهمها ان القرى في المناطق الجبلية قد تأثرت الى حد كبير بالعامل الطوبوغرافى فى توزيعها المكانى ونمط توزيع الوحدات السكنية فيها.

المقدمة:

يمثل الأستطيان الريفي مرحلة مهمة في تطور المجتمعات البشرية بما يعكسه من نتائج واثر في المرحلة التالية من تطور المجتمعات. فأستقرار الإنسان في بيئة معينة يعين تكيفه لأجوائها، كما ينتج عن ارتباطه بالأرض واتجاهه نحو استثمارها واستقراره عليها، قيام نوع من العلاقات الأجتماعية والأقتصادية في المنطقة.

وإذا كان الأستيطان، أحد التعبيرات الأساسية عن التطور الحضاري الذي وصلته المجتمعات البشرية، فأن مراحل هذا التطور قد كشفت انماطاً من السكن، تنسجم ومتطلبات هذه المراحل والمستوى الحضاري الذي وصلته تلك المجتمعات.

وتعتبر الإستقرار فى الأرياف كوردستان مثله كباقى المستوطنات البشرية بل و أقدمها على إطلاق حيث تتسم جنوب الكوردستان بالمناخ المعتدل وذات تباين فى طوبوغرافيتها فمنها مستوطنات فى قمم الجبال (منطقة **هەورامان**)ومنها فى الوديان وفى السهول أيضاً(**دەشتى شارەزوور**).

لذا فأنه من المهم معرفة مفهوم الإستقرار الريفى فى كوردستان ومعرفة أسباب إنتشارها والعوامل المؤثرة فى نمط توزيعها بشكل عام ودراسة وتحليل منطقة هةورامان ونمط البناء فيها بشكل خاص والعوامل المؤثرة فى نمط إنتشار بيوتها وبنائها.

يمكن صياغة مشكلة البحث بمجموعة من التساؤلات الاتية :.

1- هل للعوامل الطبيعية والبشرية اثر في توزيع المستقرات الريفية في منطقة الدراسة ؟
2- هل هنالك تباين مكاني في توزيع المستقرات الريفية في منطقة الدراسة مما ادى الى ظهور انماط توزيعية مختلفة ؟

يمكن صياغة فرضية البحث الرئيسة على النحو الاتي :.

- توجد مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي اثرت بدرجة او بأخرى في توزيع المستقرات الريفية في منطقة هةورامان وقد ترتب عليها تباين في توزيع تلك المستقرات من حيث الشكل والنمط والحجم والعدد .

يهدف البحث بصورة اساسية الى ايضاح التوزيع الجغرافي للمستقرات الريفية في منطقة الدراسة بغية الكشف عن العوامل التي ادت الى هذا التوزيع , كذلك دراسة واقع الخدمات والواقع السكني لمنطقة الدراسة .

تشمل حدود منطقة الدراسة (منطقة **هەورامان**_جنوب كوردستان) الى محافظة السليمانية .

اعتمد البحث المنهج التحليلي , اذ تركز الدراسة في هذا المنهج على تحليل العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية المؤثرة في توزيع المستقرات الريفية في منطقة الدراسة .

الجانب النظرى

1) الاستقرار الريفى:

يعكس الاستقرار الريفي علاقة الانسان ببيئته اذ تؤدي العوامل الطبيعية والبشرية دورا مهما في توزيع المستقرات الريفية وشكل الاستقرار , نمط البناء , والمواد المستعملة وتنظيم الوحدة السكنية

سكان الريف : تغلب عليهم البساطه والتعصب ,, يعرف بعضهم ,, يشاهدون جيرانهم باستمرار ,,الاقامه تتسم بلاستمراريه فتره طويله ,,يتميزون بالتعاون والمساعده عند حدوث الازمات

2) المجتمعات المحلية الريفية

يشير المجتمع المحلي الريفي لذلك الشكل من الترابط الواصل بين الناس ومؤسساتهم في المناطق المحلية التي يعيشون فيها في القرية ، والتي تشكل مرآز نشاطهم العام . والواقع أن لكل مجتمع ظروفه الخاصة التي تحدد نمط المجتمع المحلي الريفي ، ففي الولايات المتحدة توجد مزارع وتوجد قرى صناعية . ولذلك عندما يتناولون بالتحليل أنماط مجتمع القرية المحلي فإنهم ي برزون شكل القرية الصناعية بجانب القرية الزراعية . والقرى الصناعية تكسب معظم دخلها من الصناعات المحلية الصغيرة الموجودة بها . آما أنها تمد المزارعين المحيطين بها بالخدمات ، غير أن دخلها الرئيسي يعتمد على الصناعة أآثر من مهنة الزراعة ، هذا بالإضافة إ لى قرى التعدين . أما القرية الزراعية والتي تكون حرفتها الزراعة فإن مرآزها الاجتماعي يدور حول المزارع والتي لا يعيش فيها المزارع ، غير أن نمط القرية الزراعية الشائعة في معظم أنحاء العالم يعيش المزارعين في قراهم ويذهبون آل يوم لزراعة أراضيهم ، ثم يعودون إلى منازلهم في القرية في المساء.(بحث منشور ,د.خليل اسماعيل محمد,1998)

وقد حصرت المقاييس المميزة للريف في ثمانية عناصر على النحو التالي:

- المهنة .
- البيئة .
- حجم المجتمع المحلي .
- كثافة السكان .
- تجانس ولا تجانس السكان .
- التباين والتدرج الاجتماعي .
- التنقل .
- نسق التفاعل.

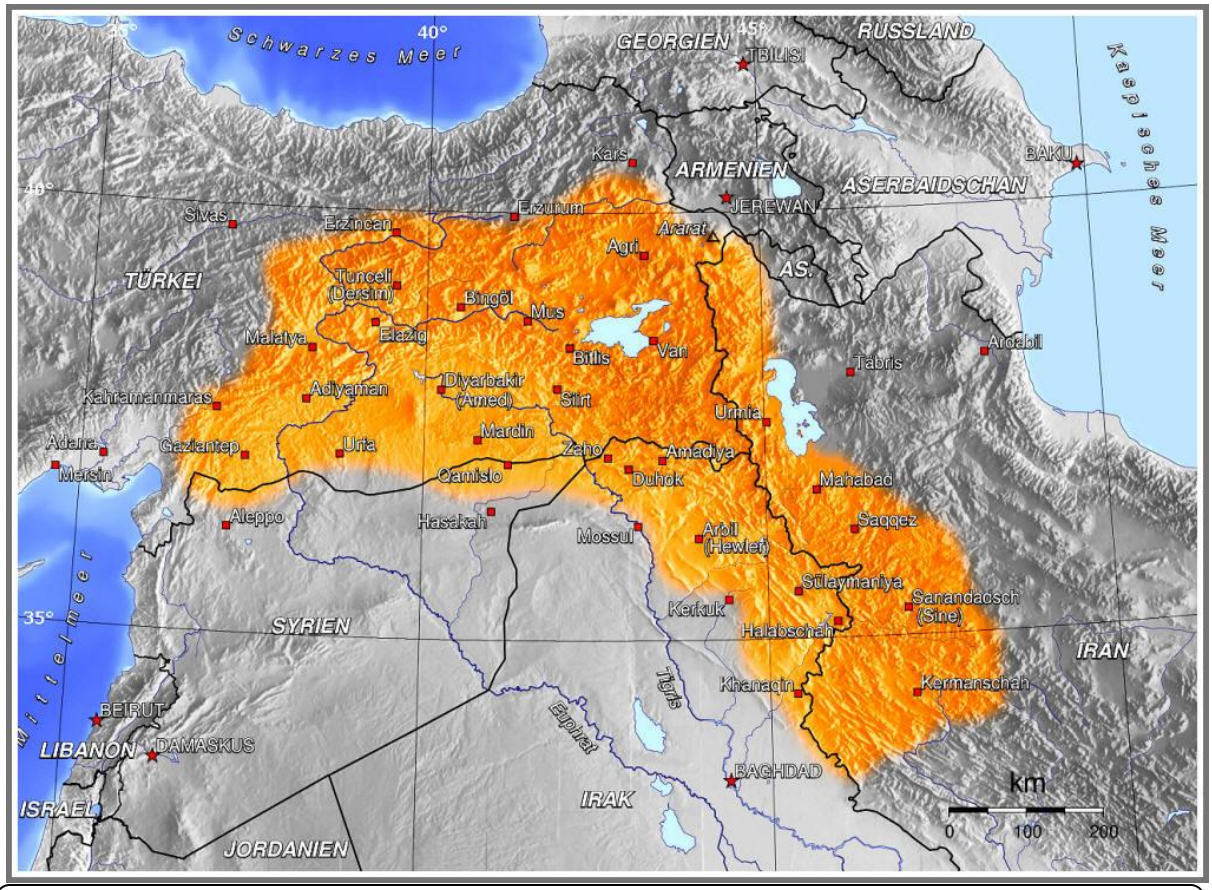

خارطة كوردستان الكبرى (الشبكة المعلوماتية)

3) التطور التأريخي للأستيطان الريفي في كوردستان:

تمثل القرى اقدم مراكز الأستيطان البشري. فلقد اضطر الانسان الى الأستقرار، عبر حقب طويلة، ظل خلالها متنقلاً طلبها للماء والكلاء أو سعياً وراء الراحة والأمان. ومن المرجح ان استقرار الانسان ارتبط اول الأمر بالملاجيء والكهوف، والتي اتخذت فيما بعد شكل منازل صغيرة سميت بـ (القرية).

وتعتبر القرية الأساس لتواجد السكان وتجمعهم في مكان معين يتجه فيه نشاطهم نحو الزراعة. وقد يجمع القروي الى جانب الزراعة، الرعي او قطع الأخشاب او أية حرفة اخرى مناسبة. والقرية في كوردستان ، تطلق على كل تجمع سكني خارج حدود بلديات المراكز الإدارية.

وفيما تمكن الإنسان العصر الحجري القديم من ان يتلائم مع بيئته فيتخذ من الكهوف او المظلات الصخرية او ما يشبه ذلك مأوى له، استطاع انسان العصر الحجري الحديث من تشييد اول المستوطنات التي عرضها التأريخ كضرورة اقتضتها ظروف الحياة المستقرة والمرتبطة بالأرض والزراعة. وليس معنى ذلك ان ظهور الأقتصاد الزراعي الجديد قد قضى كلياً على سكنى الكهوف التي مازالت حتى الآن موجودة في بعض الجهات. بيد ان انسان العصر الحجري الحديث استطاع من خلال زيادة عدد السكان، وشدة الحاجة الى الأستقرار، الى جانب الأرض المزروعة، ان يضع اللبنات الأولى في صرح العمران.

وقد اتسمت الفترات التالية (العصور التأريخية) بأزدياد عدد القرى، وعرفت بدايات هذه العصور بـ (عصر اللبن المستوى المحدب) (Plano-Convex bricks) لشيوع استعمال هذا النوع من اللبن في بناء المساكن. كما انشأ الانسان في بعض المناطق عدداً من القرى المتجمعة المبنية من (اللبن)، فيما اتسمت مباني المناطق الآخرى بكونها شبه أكواخ من الحصير.(محمد,1984)

وكانت القاعدة في اختيار مواقع المستوطنات في جميع الأدوار التأريخية تقريباً، ان تكون على مجرى ماء رئيس او بالقرب منه. ولذلك برزت ظاهرة هجرة مثل هذه المستوطنات عند تحول إتجاه هذه الأنهار. فلا غرو ان نلاحظ انتشار الاطلال والتلول الأثرية على ضفاف الأنهار المندرسة.

بيد ان معظم المدن القديمة قد اندثرت، اما بسبب تغيير الأنهار لمجاريها، او بسبب الحروب والأمراض والأوبئة, ولم يبق منها سوى الأطلال, ولاتزال بقايا المدن الآخرى ماثلة للعيان, وللتغيرات في الأوضاع المحلية آثارها ايضاً على توزيع المساكن والسكان، لاسيما خلال التبدلات في الأحداث السياسية، والتي تمثل عاملاً حاسماً ومؤثراً.

يظهر ان اسلوب حياة القرية الزراعية قد انحدر نحو السهل الرسوبي منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد, ولما كانت المنطقة السهلية تختلف من حيث المناخ بالاضافة الى تعرضها لفيضانات فصلية، لذلك قام فيها نظام الري ولو على نطاق محدود، وهذا بدوره أدى بالزراعة الى تحول تكنولوجي جديد كان له أثر بعيد في الحياة القروية وظهور المدن.(عباس ,1973)

4) التطور الديموغرافي لسكان الريف:

تميز كوردستان شأنه شأن معظم الأقطار في العالم، بمظاهرة التركز الحضري على حساب سكانه في الأرياف الذين اخذوا يقصرون في اللحاق بسكان الحضر في نسب النمو، مما أدى الى تناقص نسب تمثيلهم الى مجموع السكان. وقد ظهر ذلك بوضوح في النصف الثاني من هذا القرن، لاسيما بعد الأرتفاع في المستوى المعاشي للسكان واعتماد القطر التصنيع منهجاً، واقتصار عمليات توطينه على المدن.

5) التوزيع المكاني للمستوطنات الريفية:

بالرغم من ان المستوطنات الريفية في كوردستان، لم تطرأ عليها تغيرات واضحة.

فقيام مشروع اروائي او شق جدول او قناة، وظهور ثروة ما، او قيام طرق للنقل، والتخطيط لمجمعات سكنية، وسياسة الدولة في هذا الأتجاه او ذاك... من شأنه قيام مراكز استيطانية جديدة، او توسيع القديم منها. وقد يتسبب في اختفاء او ضمور غيرها من المستوطنات.

ويمكن ان نغزو هذا التباين في نسب التغيير في المستوطنات الريفية الى عدة عوامل أهمها:-

1- ان السنوات العشر الأولى بعد عام 1947، اتسمت بزيادة واردات كوردستان (كونها كانت المنطقة الشمالية فى العراق) من النفط وظهور مجالات عمل جديدة للسكان، كانت سبباً بأن تدفع البعض من سكان البادية للعمل في مناطق ضخ واستخراج النفط، او في حفر الآبار، وربما في مجالات عمل اخرى مناسبة، لاسيما وقد بدت منطقتهم اقل إمكانية في الأعالة، وكما سبقت الإشارة، الأمر الذي ساهم في عملية توطينهم واستقرارهم.

2- إهتمام السلطة بأسكان العشائر المتنقلة عن طريق حفر الآبار وتوزيع الأراضي عليهم، وهو ما حدث بالفعل، وكما اشرنا الى ذلك من قبل، لعشائر الضفير وعنزة، وشمر. ولاريب فأن تنفيذ قوانين التسوية للسنوات: 1931، 1938، 1951، والأسراع في اسكان توطين العشائر المتنقلة، كان من شأنه ظهور عدد من القرى والتجمعات السكنية الحديثة.

3- التوسع في مد شبكات النقل والتطور السريع في وسائله، سبب اقلالاً في الأعتماد على الجمل، كوسيلة للنقل او التجارة عبر البادية. ومن ثم فقد ساهم في تريف البدو وبناء مستوطنات ريفية جديدة.

4- استقرار الأوضاع الإدارية، وامتداد نفوذ السلطة بشكل فعال الى الكثير من مناطق البدو، الأمر الذي حد من تنقلاتهم، فالتجؤا الى الزراعة كوسيلة للعيش.

يتبين مما سبق أن كوردستان حالها كحال كل العراق قد تأثرت بالتغييرات الحاصلة فى السياسة والإقتصاد والتى أدت الى تغير فى نمط الحياة الريفى وأساليب العيش وتغير فى ملكية الأراضى و أساليب البناء وأزدياد حجم القرى ودخول التكنولوجيا فى الزراعة والرى وقوانين الإصلاح الزراعى ...الخ

6) التوزيع الحجمي للمستوطنات الريفية:-

تمثل القرى الصغيرة في العراق نسباً عالية بين مجموع المستوطنات الريفية. وتشير الأحصاءات الى ان ما يقارب من 27% من مجموع هذه المستوطنات في القطر العراقي، تقع ضمن حجم يقل عن (200) نسمة. وتتجاوز النسبة، للقرى التي يقل حجم سكانها عن (500) نسمة، أكثر من نصف مجموعها الكلي. فيما لا تمثل القرى الألفية* سوى 16% مجموع المستوطنات الريفية. وبينما تضم الفئة الحجمية التي يقل سكانها عن (500) نسمة، نحو 16% من مجموع سكان الأرياف، تمثل الفئة الالفية ما يقرب من 52% من مجموعهم

* يقصد بالقرى الألفية، القرى التي يزيد عدد سكان كل منها على (1000) نسمة.

الكلي. أما القرى التي تتحرك بين الحدين (500–1000) نسمة، فتضم نسبة تتجاوز 32% من مجموع مراكز الأستيطان الريفي في البلاد.(محمد,1984,ص)

7) أنماط التوزيع الجغرافي للمستوطنات الريفية:-

يمثل التوزيع السكاني للمستوطنات الريفية، حجر الزاوية في دراستنا هذه، وصولاً الى الكشف عن الأنماط التوزيعية لمنطقة الدراسة و(النمط) Pattern مصطلح كثيراً ما يستخدم في الدراسات العلمية للدلالة على التوزيع. وهو عند الجغرافيين، الشكل الذي تنتظم بموجبه العناصر فوق سطح الأرض. ويعبر (النمط) هنا عن توزيع المستوطنات الريفية، والنظام الذي يتخذه هذا التوزيع.

وكما تختلف المستوطنات الريفية في احجامها، تختلف كذلك في صور انتشارها، فمن القرى ما تتخذ في توزيعها اشكالاً هندسية منتظمة، ومنها ما تتبعثر بغي انتظام. وبينما تتخذ بعض منها شكل تجمعات مركزية، يتوزع بعض آخر على امتداد الطرق أو الأنهار.

ولاشك، ان ثمة علاقة بين نمط انتشار وتوزيع المستوطنات الريفية وعوامل توقيعها. فالأختلاف في البيئة الطبيعية من سطح ومناخ وبناء ومياه، من شأنه ان يؤدي الى خلق مكانية متفاوتة، يتولى الإنسان مهمة اختيار الأنسب منها، لغرض استيطانه ومزاولة نشاطه الأقتصادي. وقد اكد (هاكيت) Petter Hagget، ان للموارد الطبيعية دوراً مهماً في تحديد نمط الأستيطان. فمن القرى ما تتخذ امتداداً طولياً على امتداد نهر او طريق.. ومنها ما تتوزع بشكل متجانس تبعاً لأنتشار الموارد الأقتصادية، او ربما تتجمع في مركز واحد، طالما يقتصر الموارد على بئر ما، او موضع حماية.. الأمر الذي ينتج عنه نمطاً متجمعاً.

وفي ضوء ما سبق، يمكننا تحديد الأنماط التالية من المستوطنات الريفية في منطقة الدراسة:-

1- النمط المنتشر:-

وفيه تتوزع المستوطنات الريفية عشوائياً وبغير انتظام ويتحرك معامل التشتت بين 30–100 درجة. ويتمثل هذا النمط في الوحدات.

ويعكس هذا النمط، طبيعة التوزيع الجغرافي للموارد المائية التي تقوم عليها المستوطنات الريفية في النواحي المذكورة من جهة، والوضع الطبوغرافي السائد من جهة اخرى. ومعلوم ان قلة الموارد المائية السطحية مع جفاف المناخ صيفاً في محافظة السليمانية، دفع السكان الى استثمار المياه الجوفية المتمثلة بمياه الآبار والعيون والكهاريز المنتشرة بغير انتظام واتخاذ مواضع لها عند او بالقرب منها. ولعل اكثر النواحي اعتماداً على مثل هذه الموارد: مركز قضاء شهربازار، وماوت، وجناران، وناحية قرداغ.

2- النمط المتجمع:-

وفيه اتخذت المستوطنات الريفية تجمعات منتظمة او غير منتظمة لكنها تميزت بكونها متجاورة او متقاربة. ومن الطبيعي، ان تكون السهول والأراضي الصالحة للزراعة، وخاصة في مناطق الصعوبة (كالجبال، والهوار، والمستنقعات، ومناطق الجفاف)، وكذلك مناطق الثروات المتنوعة.

النمط المبعثر:-

وتتباعد في هذا النمط من التوزيع المستوطنات الريفية ، وتنتشر على مساحة واسعة من الأرض، متخذة في الغالب اشكالاً غير منتظمة، شأنه في ذلك شأن النمط المنتشر للمستوطنات.

ثانياً:

المسكن الريفى:

ومع استقرار الإنسان، طرحت مسألة السكن كمهمة فرضتها ظروفه الحياتية الجديدة امامه كفرد، وامام المجتمعات الإنسانية كمجموع. وبمقدار ما تم على صعيد حل مسألة كهذه، فأنه من الممكن تحديد نسبة التطور الحضاري لذلك المجتمع. فالمغارة، والكوخ، وبيت الشعر والمسكن الطيني.. يؤشر كل منها على نمط حياتي معين، وما يتفرع عن هذا النمط من علاقات اجتماعية وانتاجية.

واذا كانت القرية تمثل في الواقع الوحدة الأصلية للمجتمع فأن (المنزل) بمثابة الخلية الأولى لهذه الوحدة ومن ثم فإن هذه الخلية تعتبر من أهم عناصر التكوين المروفولوجي للقرية. ولعل اكثر الحقائق ذات العلاقة بالمسكن الريفي انه يمثل بالنسبة للفلاح، تأريخاً طويلاً، وتقاليد معمرة، وعادات راسخة.

وعليه، فلم تلق المساكن وحدها، اهتمام الجغرافي فحسب، بل وايضاً نظام توزيعها، مبعثراً كان ام متجمعاً، ومادة وطريقة بنائها، لدلالته على الظروف الجغرافية: الطبيعية منها والأقتصادية، والأجتماعية وكذلك التأريخية. ومن هنا يرى ردفيلد (Ridfield) بأن دراسة الوحدات السكنية وفي اي مجتمع، يمكننا من فهم السلوك المنظم لمعيشة ذلك المجتمع، بأعتباره مظهراً اساسياً من مظاهر التفاعل بين الإنسان وبيئته.

وليس ثمة تخطيط للمستوطنات الريفية، يمكن ان نهتدى به، فحيثما حل الفلاحون اقاموا منازلهم. وقد يبدأ احدهم ببناء منزله بجوار مورد من موارد المياه، كالأنهار او العيون او الآبار.. ليس بعيداً عن ارضه او مزرعته، وربما بالقرب من طرق النقل الرئيسة او الفرعية، او حيثما يتوفر له شعور بالراحة والأمان، ثم يأتي ثان فيبني بجوار صاحبه، فثالث ورابع. وذلك لن المسكن الريفي، الى جانب وظيفته الأجتماعية من خلال ايواء الأسرة وحمايتها من اخطار الطبيعية، وحفظ مؤنها ولوازمها، وايواء حيواناتها، لابد ان يوفر لها الطمأنينة

والأستقرار ايضاً. وطريقة كهذه في البناء، لايتبع فيها نظام هندسي معين، تكون فيه الدور غير منسقة، الوطرق ملتوية وضيقة. وقد تترك بينها مسافات واسعة، لأسباب امنية واجتماعية.

1) نمط الأنتشار السكني:

ان ابسط انواع المساكن الريفية، هو البيت المنفرد والمؤلف من غرفة واحدة فقط، يستعملها الفلاح مسكناً له ولعائلته، وربمان لأيواء حيواناته وحفظ غلاله ايضاً. فلا غروان ان تقسم الغرفة احياناً، بحاجز من الطين او غيره. ليفصل بين الجزء الذي يستعمله وعائلته، والآخر لحيواناته. وكنتيجة لأنفصال الأسرة، واستقلاليتها عن العائلة الرئيسة فقد يحدث تغيير في حجم المسكن، حيث يميل في العادة الى الصغر. كما ان زيادة عدد السكان يفضي غالباً الى الزيادة في عدد المساكن.

ومن خلال استعراضنا للمستوطنات الريفية في منطقة هةورامان يمكن ملاحظة مايلي:

1- تقوم غالبية القرى على سفوح الجبال والمناطق المضرسة. وقد تبتعد عن الحقل مسافة تتراوح بين (0.5-3) كيلومتر في المعدل.
2- تتميز الوحدات السكنية بأحتشادها وتجاورها. ونادراً ما ينفرد البيت الجبلي بعيداً عن القرية الأصلية. وتكون اكثر احتشاداً في المناطق الوعرة، حيث قلة في الأراضي السهلية والمنبسطة.
3- تتخذ الوحدات السكنية في امتدادها اشكالاً متميزة. بيد ان الشكل السائد هو المستطيل ويضم نحو 60% من مجموعها الكلي، ثم الشكل نصف الدائري، وتحتضن فيه المساكن، سفوح الجبال متخذة شكلاً موازياً مخط الكنتور .(محمد,1984)

2) العوامل المؤثرة في توزيع المسكن الريفي:

من الطبيعي، ان يرافق الأهتمام بالمستوطنات الريفية ووحداتها السكنية، دراسة لنمط توزيع هذه الوحدات، التي تؤلف بمجموعها المركز الرئيسي للأستيطان، بأعتباره يعكس صورة حقيقية لطبيعة الظروف المتفاعلة في صنعه. والجغرافيون يهمهم معرفة العلاقة بين البيئة الطبيعية ونظم استغلال الأرض، وصور الحياة الأجتماعية السائدة من جهة، والنمط الذي تتخذه الوحدات السكنية في توزيعها من جهة اخرى.

1. العوامل الطبيعية:

ويتمثل تاثير هذه العوامل بوضوح، في شكل امتداد الوحدات السكنية في المستوطنة، ونمط توزيعها. فوجود مرتفع او مستنفع من شأنه ان يحد من اتساع المستوطنة في اتجاه معين. كما ان وجود نهر او طريق، يتحكم غالباً في اتجاه نموها. وقرى الجزر، وقمم الجبال تتسم بكونها محدودة الأمتداد من جميع الجهات، لذلك باتت مضغوطة في مساحة صغيرة. وعليه فأن لموضع المستوطنة، اثر كبير في تحديد شكلها، وامتداد وحداتها السكنية. فأذا ما أقيمت في واد له سفح حاد، فأنه تميل الى ان تكون خطية التوزيع، وتمتد على طول الوادي. وقد تأخذ احياناً شكلاً هرماً او مثلاً والمستوطنات الجزرية، غالباً ما تكون دائرية او قريبة من ذلك، او مربعة.

ولطبيعة المورد المائي تأثيره على نمط الوحدات السكنية وتوزيعها. فالأعتماد على المياه الجوفية، ينتج عنه شكلاً يختلف عن ذلك الذي يعتمد على مياه النهار. فمن الواضح، ان المساكن الريفية تتجمع عموماً حول البئر او الكهريز او سواهما من مصادر المياه الجوفية. .(محمد,1984)

2. العوامل البشرية:-

الى جانب العوامل الطبيعيةن آنفة الذكر، تقوم العوامل البشرية بدور آخر في اضفاء صور متميزة لتواجد وانتشار المساكن الريفية، ممثلة بالمؤثرات او العوامل الأقتصادية والأجتماعية والتأريخية.

أ- المؤثرات الأقتصادية:

ليس من شك في ان نظام الزراعة، ونوع الغلة، واسلوب استثمار الأرض، والقوانين والتشريعات الزراعية. لها علاقة وثيقة بنمط توزيع الوحدات السكنية تماماً كما كان لها تأثير مباشر في نمط توزيع المستوطنات الريفية.

ثم كانت التشريعات والقوانين الزراعية التي تلت عام 1958، والتي كان لها دور في تفتيت الملكيات الكبيرة وتوزيع الأرض على الفلاحين، الأمر الذي سبب في تجزئة الأرض، وبعثرة الوحدات السكنية، كما وساهم في تعزيز ظاهرة التوزيع المبعثر للقرى، مما حدا بالمسؤولين الى اعادة النظر في تلك القوانين، فتم اصدار عدة تشريعات بصدد ذلك.

ب-المؤثرات الأجتماعية:

للعوامل الأجتماعية دور هام كذلك في تحديد شكل القرية ونمط بنائها. فالعلاقات الأسرية غالباً ما تكون سبباً في ظهور قرى مندمجة طلباً للأمان والخير المشترك. ومع ذلك، فليست مثل هذه العلاقة كافية لجمع الشمل في قرية مجمعة، اذ يفوقها في الأهمية احياناً، ما يضعه المجتمع من تقاليد واعراف تسير عليها. فنمط التجمعات السكنية قد يكون امتداداً للروابط القبلية، وقد يكون تنظيم المسكن نفسه، انعكاساً للتنظيم الأجتماعي من حيث اماكن الضيافة واماكن النساء، وحجم البناء وما يحقق من وظائف في الحياة العائلية.

ففى منطقة هةورامان فان صلة القرابة أثرت فى نمط توزيع الوحدات السكنية بشكل ملحوظ.

ت-المؤثرات التأريخية:

يتضح اثر العامل التأريخي في نمط انتشار وتوزيع الوحدات السكنية، من خلال الحداث التي تتعرض لها اية منطقة وسبل مجابهتها. وفي مناطق كهذه كثيراً ما تبتعد القرى عن الطرق العامة، فيقيم سكانها منازلهم بعيداً عنها، خوفاً من هجمات الغزاة، بينما يعدو الأستقرار، وسيادة الأمن الى انتشار المستوطنات بالقرب من خطو ط النقل، والتي تلعب دورها في نمو المستوطنات وتطورها. وتميل المستوطنات في ظروف الفوضى وفقدان الأمن والأستقرار، الى رص مساكنها واحتشادها، حيث تفرض ضرورات الحماية والأمن، تجمع المزارعين في قرى كبيرة متجمع.

ث-المؤثرات الدينية:

لعب العامل الديني دوراً متميزاً، لا في ظهور المستوطنات والتجمعات السكنية فحسب، بل وكذلك في التأثير على حجمها وتوزيعها الجغرافي. وظاهرة التجمع حول المركز الذ ي استوطنه اسرة دينية او (مقام) لأحد الأولياء الصالحين، مألوفة في كوردستان العراق، وعلى نطاق واسع. وما كان لبعض القرى في محافظة السليماينة ان تقوم ويزداد حجم سكانها لولا وجود اضرحة لأحد الأولياء او (مزار) للصالحين. وفي قرى: ابو عبيدة (عبابيلي) باقرب من مدينة حلبجة و (سيد صادق) وبرزنجة وشيخانى بيارة ، امثلة توضح ذلك.

3) بنية المسكن الريفي:

سبقت الأشارة الى انه لم يكن للمستوطنات الريفية تخطيط معين وثابت. فحيثما حل الفلاح انشاء داره، بحيث تبعد بضع أمتار عن جاره الذي يليه، وبقدر ما يبعد جاره عن الآخر. ولا تملأ الفراغات بين الدور، غلا اذا توسعت القرية بشكل ملحوظ. وتمثل الفراغات بين الوحدات السكنية طريق المرور. وغالباً ما يتم بناء الدور بحيث لاتكون الواحدة منها ملاصقة للأخرى، وذلك بترك فسحات مفتوحة حول الدار لأسباب اجتماعية او أمنية. ويعزي افتقار المسكن الريفي في كوردستان، للتخطيط المنتظم في البناء، الى التخلف الأقتصادي والأجتماعي للفلاح. الأمر الذي عكس نتائجه في وضعية الغرف، والتي تفتقر الى المقومات الصحية. كما يستم البعض من المساكن الريفية بمشاركة الحيوان الإنسان فيها، الى جانب استعمال المواد الأولية غير المحسنة، وطرق البناء التقليدية. .(محمد,1984)

ويضم المسكن الريفي عموماً، عدداً من الغرف، تتناسب وامكانات الفلاح المادية وحجم العائلة، الى جانب ساحة امامية، تتوسط الدار احياناً تسمى بـ (الحوش)، تتوزع على جوانبها الغرف المختلفة. ويساعد (الحوش) هذا، على تهوية المسكن وتلطيف الجو صيفاً ووصول اشعة الشمس الى مرافق البيت شتاء، الى جانب كونه المكان المناسب لنوع الأسرة في ليالى الصيف. ويستعمل (الحوش) احياناً مكاناً لأيواء الحيوانات ايضاً. واغلب هذه المساكن لها مدخل واحد يشترك في استعماله اهلها وحيواناتهم كذلك.

1- غرف للنوم: لاتكاد تخلو المساكن الريفية من غرف خاصة للنوم، بالرغم ما هو معروف، من ان سكان القرى ينامون في العراء صيفاً، وقد تتعدد مثل هذه الغرف في المسكن الواحد، تبعاً لحجم السرة ومستواها المعاشي.
2- الطارمة: وهي تمثل غرفة مفتوحة على (الحوش). وتستخدم لجلوس افراد العائلة اثناء تناولهم الطعام او شراب الشاي او المسامرة،.
3- المضيف او (الديوةخانه) كما يسمى باللغة الكوردية. ويمثل المركز الرئيس للحياة الأجتماعية، الى جانب كونه مكاناً لتناول الطعام والفندق الذي يقيم فيه الضيوف والمستطرقين.

ويمكن القول، بأن مكانة الشيخ او (الآغا) ترتبط بدرجة او بأخرى بسعة ونمط بناء مضيفة. وربما يكون للآخرين من سكان القرية مضايفهم التي تختلف سعة وشكلاً، تبعاً لمكانة الأسرة الأجتماعية وامكاناتها المادية. وهي تأخذ على العموم اسم (الربعة) .

4- الحضيرة: وتمثل مأوى للحيوانات. وغالباً ما تبني الخظائر في محافظة السليمانية منفصلة عن المسكن لتكون ملجأ للحيوانات، وضمان حمياتها. لذلك فأنها تغلق ليلاً للحيلولة دون سرقتها.

ويعز ي قلة او صغر الفتحات، ونمظ المداخل والأبواب، الى عوامل متعددة في مقدمتها، انخفاض درجات الحرارة شتاء، والرياح الباردة، بالإضافة الى نفقات البناء، ثم عدم الالمام بالنواحي الفنية. وظروف المنطقة الأمنية. ويتحقق الهدف الدفاعي بالوحدة المتراصة التي تنشأ من خلال تجاور المساكن او تقاربها.

4) مواد البناء :

تقسم مواد البناء من حيث المادة الأولية المنتجة الى طبيعية وصناعية. وتستخرج

- الأولى من الأرض وتستعمل بصورة مباشرة في البناء، مثل الطين، والرمل، والحجر، ومواد نباتية: خشبية وعشبية، كجذوع وسعف النخيل، وسيقان الأشجار، والتبن.
- وتمثل الثانية: المواد البنائية المصنوعة. كالطابوق، والزجاج، والسمنت، والنورة. والمسكن الريفي من حيث مادته ونمط بنائه، له دلالته على مدى توفر المواد الأولية ذات العلاقة بالبناء. كما ان طبيعة المسكن الريفي، وتوفر المواد اللازمة لبنائه، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمستوى الأقتصادي للأنسان والغرض من بنائه واسلوب معيشته. ويعمد القرويون في العادة، الى الأعتماد الريفية مبنية بالطين او (اللبن)، الذي يصنع، اما من الطمي المتخلف في الترع، او من الردم المتخلف من عمليات تسوية الأرض، مضافاً اليه التبن في الحالتين، او بعض الأعشاب الهشة. وتؤخذ الأخشاب اللازمة للسقوف والأبواب من الأشجار التي تنمو بكثرة على اطراف الحقول او على جانبي الترع والجداول. ويغطي السقف بالأغصان او الحصران ثم بطبقة من الطين. اما النوافذ: فهي عبارة عن فتحات دائرية او مربعة الشكل في اعلى الجدار او اسفله، تسد بالخرق البالية في فصل الشتاء، وهي مصممة في الغالب لأغراض التهوية.

وبجانب اثر البيئة المحلية في المواد التي يصنع منها المسكن الريف، فإن المر له علاقة ايضاً بثمان هذه المواد، وتكاليف النقل. فقد يستطيع اهل القرية ان يبنوا مساكنهم من مواد افضل، يبتاعوها من المدينة، وربما بالإمكان بناؤها من الخشب في اقليم قليل الأشجار، وقد يستخدم الحجر في بيئات يعزفيها الحجر. ولكن اذا تغاضينا عن هذه الأستثناءات، فان القاعدة ان يبني المسكن الريفي من اللبن حيث يتوفر الطين، ويبني من الخشب في المناطق الغابة، وقد يبني بالحجر حيث لاتوجد مادة سواها.

وليس التباين في نسب المواد المستعملة في بناء المسكن الريفي، قائماً فقط، بين فترة واخرى، وانما على صعيد الوحدات الأدارية لمنطقة الدراسة كذلك. ففي محافظة السليمانية، وبالرغم من ان البناء الطيني يمثل نسباً رئيسة في مجمل البناء، إلا ان البناء الحجري يمثل هو الآخر نسباً مهمة ايضاً.

ومن تضرسها ووعورتها، يمثل البناء الطيني فيها نسباً متميزة كنواحي: بيارة، وتةويلة، ولعل ذلك يرجع الى:

1) ان قواعد واسس المسكن، غالباً ما تبني من الحجر او الصخر، ثم تقام عليها الجدران من الطين او اللبن. ويكون حجم (اللبنة) اكبر مما اعتاد عليه البناء الريفي في المناطق الوسطى والجنوبيو من البلاد.
2) بعد الأنتهاء من بناء الجدران بالحجر او الصخر، تطلي باطين، لذلك تبدو وكأنها مبنية بالطين.

ان تطور المواد الأنشائية في البناء، يخضع ولاريب، للأمكانات المحلية والزمنية، وكذلك لتطور الفكر الإنساني في هذا المجال. ويبدو ان اساليب ابناء في كوردستان، خلال العهود الماضية، تركزت في بناء الجدران السميكة والسقوف العالية. كما ان بعضاً من الوحدات السكنية، كانت تسقف بالحصران، وجذوع النخيل والأشجار، ويعاد تغطيتها بطبقة من المواد الطينية لتأمين العزل الحراري. وتتخلل السقوف في المنطقة الشمالية بعض الفراغات، تملأ بمواد فخارية، للحيلولة دون سرعة انتقال الحرارة.

الجانب العملى:

تعريف هه ورامان:

الموقع الجغرافى: تقع منطقة هورامان فى شرق محافظة السليمانية منطقة جبلية وعرة وذات تباين كثير فى طوبوغرافية الموقع حيث يقع أكثرية القرى فى المنطقة هةورامان فى سفوح الجبال.

نمط الأبنية: يتسم الوحدات السكنية بكونها متراصة ويكون سطح البيت بمثابة (الحوش) للوحدة التى يليه إرتفاعاً .

مواد البناء: أكثرية المبانى تبنى بالحجر والطين أو (السمنت) لتوافر الأحجار فى المنطقة ولكفاءتها فى حفظ وخزن طاقة لكونها منطقة باردة شتاءاً ومعتدلة فى الصيف.

اللغة: الغة الكوردية, اللهجة هه ورامى .

(هورامان) لغة كوردية:هةورامان هي سلسلة جبلية تقع في غرب إيران وشمال شرق العراق ضمن منطقة جغرافية أكبر تعرف باسم كوردستان .تقع على هذه السلسلة مدن مريوان وپاوه في الجانب الإيراني ومدينة حلبجة في الجانب العراقي. معظم سكان هذه المنطقة يتحدثون اللهجة الهورامية والتي هي جزء من اللهجة **الگورانيه** والتي هي فرع من اللغة الكوردية .كما أن هذه المنطقة تضم عدداً من اتباع الطائفة اليرسانية. (ويكيبيديا,الشبكة المعلوماتية)

تستطيع ان تلفظها ايضا (هه ورامان) او (اورامان بالفارسية) او (اڤرومان). جميع هذه الالفاظ تشيرالى شعب كوردي اصيل احتفظ بالكثير من العادات و التقاليد الكوردية القديمة في كوردستان ايران و العراق بضمنها مدينة حلبجة المشهورة عالميا التي شهدت ابشع هجمة وحشية بالاسلحة الكيمياوية اثناء الحكم البعثي للقضاء على شعب لا يريد ان يتخلى عن تأريخه و اصالته. طبعا الاصاله نسبية هنا و ليست قطعية و لكن هذا لا يقلل من هورامانية العادات و التقاليد الكوردية القديمة.

يعتقد بعض المختصين بان اسم (هه ورامان) لربما يتصل بالديانة الزردشتية المجوسية القديمة التي لا تزال تمارس من قبل اقلية في المنطقة اي ان اسم (هه ورامان) لربما اشتق من اسم Ahuraman او Ahura Mazda الإله الحكيم في اللغات الهندو–الايرانية – الاڤستية القديمة لذلك يمكن اعتبار (هه ورامان) منطقة زردشتية مجوسية مقدسة قبل الغزو الاسلامي. لاحظ ان مصطلح الايرانية لا تستعمل جغرافيا هنا وان استعمال مصطلح (المازدية) بدل (الزردشتية) في الدراسات الغربية يعكس عقلية القرن التاسع عشر في صياغة كلمات من المقطع الثاني في اسم الإله الحكيم Ahura Mazda لان الاسم الزردشتي للدين كان (مزدا ياسنا) العبارة الافستية للاشارة الى العبادة.

تستطيع ايضا ان ترى اصالة هذا الشعب من الفن الهوراماني و بصورة خاصة الاغنية الهورامانية الحزينة التي تعكس بطريقة غنائها القديم الخاص و صوتها و نبراتها الويلات التي حلت بالاكراد على مر العصور.

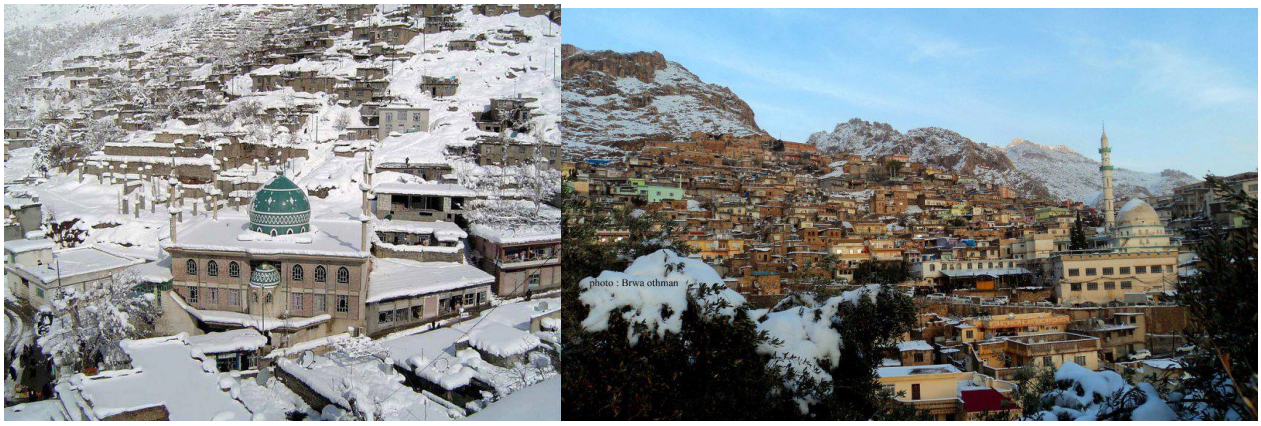

صورة لأحدى القرى الواقعة فى المنطقة

(الشبكة المعلوماتية)

صورة يبين كيفية البناء فى المنطقة نظراً لوعرة الجبال وأستغلال التضاريس

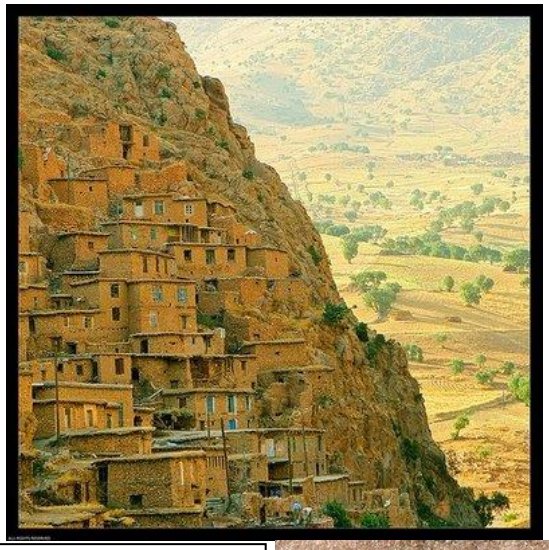

صورة يبين كيفية جمع الحصاد بالطريقة التقليدية ودون تدخل التكنولوجيا

صورة يبين مرعى للغنم

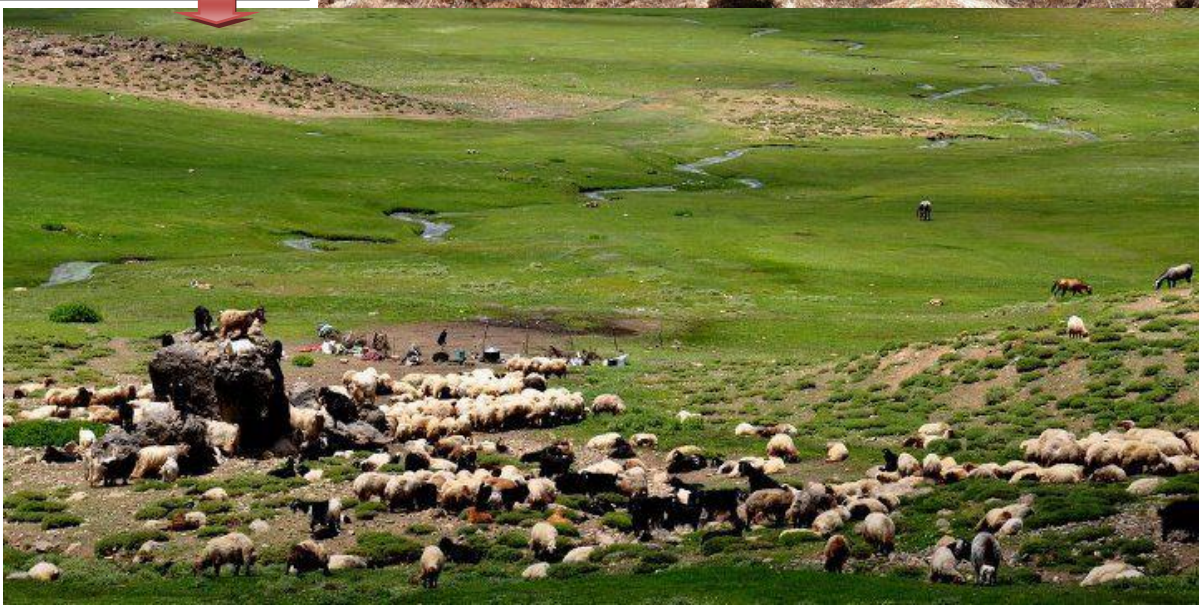

صورة يبين إحدى المساكن الريفية التى يبين الفصل فى الحوش بين المسكن والحضيرة بواسطة سياج مصنوع من الأشجار

نمط البناء فى منطقة الدراسة

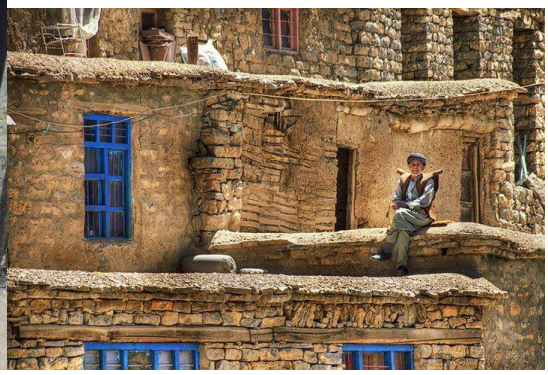

صورة يبين تراص الأبنية على إنحدار الجبل

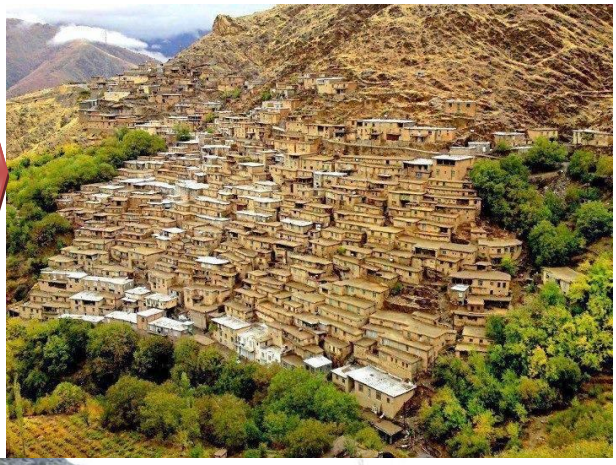

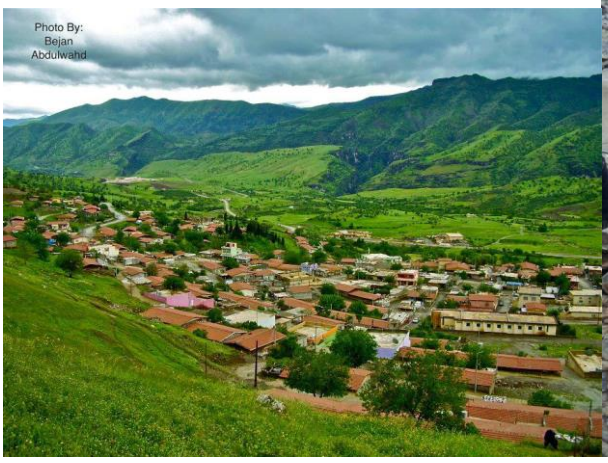

نموذج للقرى المطورة فى المحافظة

الإستنتاجات:

من خلال دراسة الجزء النظرى من البحث والدراسة التحليلية لمنطقة الدراسة تبين أن:

- إن الإستقرار الريفى فى كوردستان تأثرت كباقى المستوطنات الريفية فى العالم بالعوامل الطبيعية والعوامل البشرية التى ذكرت ولكن يختلف تأثيرها من منطقة الى أخرى حسب طبيعة التضاريص الأرض وتوفير المياه وتوفير الأمان.
- إن نمط إنتشار الوحدات السكنية فى هه ورامان قد تأثرت بشكل كبير بعامل الطوبوغرافى والتى أثرت فى نمط البناء والعلاقات الإجتماعية وتوزيع الوحدات السكنية و وحت فى نمط الأبنية وتويع فضاءاتها الداخلية.
- نظراً لوجود الحجر فى المنطقة بكثرة كمادة بناء فأنها أثرت بالتالى بالنوع المواد المستخدمة فى إنشاء مبانيهم .
- ولأنخفاض درجات الحرارة فى المنطقة الى درجات تحت صفر فى فصل الشتاء أثر فى طريقة نسقيف المبانى وتوزيع الفضاءات الداخلية من حيث تجميع غرف الإستقبال والنوم والمطبخ والمرافق الخدمية فى نفس المبنى وليس كنمط الأبنية الريفية المألوفة .

المصادر :

I. خليل اسماعيل محمد , انماط الاستيطان الريفي في العراق , اطروحة دكتواره (منشورة) مقدمة الى كلية الاداب بجامعة بغداد ,1979

II. أحمد قادر، **العمارة الكوردية في منطقة هورامان**، بحث في مادة العمارة الإسلامية،جامعة السليمانية، كلية الهندسة، قسم المعماري، المرحلة الخامسة، 2007

III. عبدالرزاق عباس، **نشأة مدن العراق وتطورها**، معهد البحوث والدراسات العربية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1973، ص5.

IV.

V. -web sits en.wikipedia.org

VI. www. uen.org